

الرموز الطبيعية في شعر المقاومة لدى عزّالدين ميهوبي

أستاذ مشارك. صادق فتحي دهكردي

أستاذ مساعد. جهاد فيض الاسلام

أستاذ مساعد. مجتبی عمرانى پور

الباحث. نادر محمدي

قسم اللغة العربية وآدابها/ جامعة طهران - فرديس فارابي/ إيران

Natural symbols in the poetry of the resistance of Ezzedine Mehyoubi**Associate Professor. Sadiq Fathi Dehkardi****Associate Professor. Jihad Fayadh Islam****Associate Professor. Mojtaba Omrani Pour****Researcher. Nader Mohammadi****Department of Arabic Language and Literature\ University of Tehran - Fredis
Farabi\ Iran****Abstract**

One of the most prominent artistic techniques used in modern Arabic poetry is symbolic, modern Arabic poetry, especially the poetry of resistance is full of symbols, and this is due to a number of reasons, such as political repression, embodiment and deepening of meanings and principles, and the participation of the recipient in the thought of the poet and his axioms. After the Arab conquest of the West and the flourishing of the literature of the resistance and the Arab poets and writers on the symbolic school, the use of symbols in the literature of resistance in the Arab world. This article deals with the study of natural symbols in the poetry of the resistance of the contemporary Iraqi poet Balend al-Haidari. Balend al-Haidari speaks in his most famous poems about the homeland, resistance and revolution before the occupiers and the oppressors until they reach freedom and dignity. He uses natural elements as symbols of what he wants to express, covering the meanings and emotions in a curtain of nature symbols and conveying them to the recipient. He seeks his resistance poetry around the original resisters of resistance, ie, occupation, oppression, injustice, revolution and freedom. The negative elements, such as the wolf and the cold To oppression and injustice, and to positive elements such as spring and sun to revolution and freedom. The poet gives these elements meanings and new meanings that are not lexicon. This saves him from the danger of imprisonment, murder and harm. The recipient also participates in what the poet thinks about the homeland and his pain. This research is based on the descriptive descriptive approach and analyzes the symbols' meanings according to the Arab and Islamic culture and the characteristics of the natural elements.

Key words: Balind al-Haidari, symbolism, nature, resistance, modern poetry.

المُلخَص

إنّ من أبرز التقنيات الفنيّة التي يُستخدم في الشعر العربي الحديث هي الرمزيّة، الشعر العربي الحديث وخاصة شعر المقاومة مملوء بالرموز وهذا يرجع إلى أسباب عديدة كالكبت السياسي وتجسيد المعاني والأحاسيس وتعميقها ومشاركة المتلقّي في فكر الشاعر وأحاسيسه. بعد احتلال البلدان العربيّة على يد الغرب وازدهار أدب المقاومة وتعرّف الشعراء والكتّاب العرب على المدرسة الرمزيّة، كثر استخدام الرموز في أدب المقاومة في العالم العربي. هذا المقال يتطرّق إلى دراسة الرموز الطبيعيّة في شعر المقاومة للشاعر العراقي المعاصر بلند الحيدري. بلند الحيدري يتكلّم في أكثر أشعاره عن الوطن والمقاومة والثورة أمام المحتلّين والظالمين حتّى الوصول إلى الحرّيّة والكرامة. وهو يوظّف العناصر الطبيعيّة رموزاً لما يريد تعبيره فيغطي المعاني والعواطف في ستار من رموز الطبيعة وينقلها إلى المتلقّي، فهو ينشد شعره المقاوم حول المضامين الأصليّة للمقاومة يعني الاحتلال والغضب والظلم والثورة والحرّيّة، ويرمز بالعناصر السلبية مثل الذئب والبرد إلى الغضب والظلم، وبالعناصر الإيجابيّة مثل الربيع والشمس إلى الثورة والحرّيّة. يعطي الشاعر لهذه العناصر معانٍ ودلالات جديدة غير دلالاتها المعجميّة فهذا يصونه من خطر السجن والاعتقال والأذى وأيضاً يشارك المتلقّي في ما

يفكر الشاعر ويحسّه حول الوطن وآلامه. اعتمد هذا البحث على المنهج الوصفي التحليلي وبحلّ دلالات الرموز وفقا للثقافة العربية والإسلامية وسمات العناصر الطبيعية.

الكلمات الرئيسية: بلند الحيدري، الرمزية، الطبيعة، المقاومة، الشعر الحديث.

مقدمة

«إنّ المدرسة الرمزية العربية مذهب أدبي نشأ في الشعر العربي الحديث وتوضّحت معالمه في النصف الثاني من القرن العشرين؛ عبّر عن تجارب إنسانية ومعاناة قومية أو وطنية أو اجتماعية أو نفسية.. وفتح آفاقا جديدة في الأدب الإنساني». (نشاوي، ١٩٨٤م: ٤٦٩) بعدما احتلّت الدول الغربية البلدان العربية وارتكب بعض الحكام العرب الظلم والفساد، قام الشعراء بالدفاع عن وطنهم وحقوق شعبهم فتولّد أدب جديد في الأدب العربي، الأدب الذي عرف بأدب المقاومة. فهو أدب يقاوم الظلم والفساد والاحتلال. إن هذا المقال يتطرق إلى تحليل رموز الطبيعة في شعر المقاومة للشاعر الجزائري المعاصر عزّالدين ميهوبي. هو أنشد قصائد كثيرة حول الوطن والاحتلال وما يتعلّق بهما من الظلم والثورة والحرية، لأنّه شاعر ملتزم وليس غافلا عمّا يجري في وطنه، والشاعر بسبب وجود الكبت السياسي في وطنه وبسبب تجسيد المعنى والإحساسات، قد وضّف تقنية الرمز في قصائده التي يتكلّم فيها عن المقاومة. «أدرك الشاعر عزّالدين ميهوبي قيمة الرمز بشئى أنواعه، كونه ظاهرة فكرية فنية تنغي النصّ فتفتح أمامه عوالم متداخلة في الأزمنة، يصبح الزمن سرمديا بأحداثه فيلتقي الأزلى بالأبد في لحظة ميلاد واحدة. هو لا يضع اعتبارا للحدود الجغرافية والانتماءات العرقية بل يوحي له الرمز لحظة الإبلاغ إلى ظاهرة خفية تتحكم في تسيير خطوط متواليات النصّ حسب ما يوردها المدّ العاطفي الأول» (بن مزغنة، ٢٠٠٥م: ٩٥) هو كشاعر معاصر لا يتكلم عن الطبيعة ولا يصفها بل يستخدم عناصر الطبيعة رموزا وأدوات تعبير لما يجول في خياله من الأفكار، تعطي هذه الرموز شعره دينامية وحيوية، وتجسّد الأفكار والأحاسيس أمام عيون المتلقّي، لكلّ عنصر دلالة خاصة وفقا لخصائصه. يوظّف الشاعر العناصر المخيفة والقبيحة لما مخيف وقبيح، والعناصر الجميلة والمحبوبة لما هو جميل ومحبوب، فمثلا يرمز بالأزهار إلى الشهداء ويرمز بالذئب إلى العدو الغاصب. وهذا أحسن طريق للتعبير عن الأفكار والأحاسيس لأنّ الظرف السياسي لا يسمح للشاعر أن يعبّر صريحا بما يريد ويهدّده بالاعتقال والقتل والحبس، وكذلك يعلم الشاعر بأنّ الكلمات في دلالتها المعجمية لا تستطيع أن تعبّر ما في ذهنه وقلبه من الأفكار والإحساسات، وإضافة لهذا أغنت رموز الطبيعة شعره عمقا وجمالا.

أسئلة البحث

(أ) ما هي أهمّ أسباب توظيف رموز الطبيعة في شعر المقاومة لدى عزّالدين ميهوبي؟

(ب) ما هي دلالة الرموز الطبيعية في شعر المقاومة لدى الشاعر؟

فرضيات البحث

(أ) إن الكبت السياسي وتجسيد المعاني والإحساسات وتبنيها، هي من أهمّ أسباب توظيف الرموز الطبيعية في شعر المقاومة لدى عزّالدين ميهوبي.

(ب) إن أكثر رموز الطبيعة في شعر المقاومة لدى الشاعر يدلّ على الغضب والاحتلال والظلم من جهة وعلى الثورة والحرية والمقاومة من جهة أخرى.

خلفية البحث

نحن نعلم بأنّ ميهوبي لما يُعرف في العالم العربي والإسلامي كثيرا كالشعراء الآخرين مثل بدرشاكر السياب ونزار قباني ومحمود درويش وغيرهم ولذلك يوجد بحوث قليل حوله، وهنا نشير إلى هذه البحوث: رسالة الماجستير للطالب حفيظة بن مزغنة، سنة ٢٠٠٥م تحت عنوان «الصورة الفنية في شعر عزّالدين ميهوبي» في جامعة محمد خيضر بسكرة، التي قد تطرّق إلى تشكيل الصورة الفنية في شعر عزّالدين ميهوبي وأنماطها وأسلوبيتها وتشاكلها وتباينها وأيضاً تحلّل وظيفة الرموز التاريخية والأسطورية في تشكيل الصورة في شعره ولكن لا تتطرّق إلى دراسة الرموز الطبيعية. ومقالة «تجليات الواقع السياسي في ملصقات عزّالدين ميهوبي» في مجلة

الأثر، العدد ٢٣، السنة ٢٠١٥م، وصل هذه المقالة بأنّ الواقع السياسي قد شغل حيّزا مهمّا وفاعلا في تجربة الشاعر، واتخذ مسارين رئيسيين هما: الواقع السياسي الجزائري بكلّ ما حمله من مفارقات والواقع السياسي العربي وما لحقه من هزائم وانتكاسات.

عزّالدين ميهوبي

إنّ عزّالدين ميهوبي من أكبر شعراء المقاومة في الجزائر، قد أنشد أكثر شعره حول الوطن العربي والقدس والجزائر خاصة، فهو كشاعر ملتزم لا يغفل عمّا يجري في وطنه ويجتهد بقلمه وفتنه لحرية شعبه وسعادة وطنه، «هو وزير الثقافة في الحكومة الجزائرية، أديب وكاتب، ولد سنة 1959 بعين الخضراء ولاية المسيلة. جده محمد الدراجي، من معيني الشيخ عبد الحميد بن باديس في جمعية العلماء المسلمين الجزائريين، كان جده قاضيا أثناء بالثورة التحريرية. ووالده جمال الدين، مجاهد وإطار متقاعد. درس في الكتاب بمسقط رأسه، والتحق بالمدرسة النظامية في ١٩٦٧ بمدرسة عين اليقين (تازغت- باتنة) في السنة الرابعة ابتدائي، ثم انتقل إلى مدرسة السعادة ببريكة، ثم مدرسة لسان الفتى (تازولت- باتنة) ومتوسطة عبد الحميد بن باديس (باتنة)، ودرس بثلاث ثانويات هي عباس لغرور بباتنة، ومحمد قيرواني بسطيف، وعبد العالي بن بعطوش ببريكة حيث حصل على شهادة البكالوريا آداب. أعماله الشعرية: في البدء كان أوراس، الرباعيات، اللعنة والغفران، النخلة والمجداف، ملصقات، كالغولا يرسم غرنیکا الرئيس، عولمة الحب عولمة النار، قرابين لميلاد الفجر، طاسيليا، منافي الروح، أسفار الملائكة» (ويكيبيديا) ميهوبي ينشد شعره في أسلوب الشعر الحرّ ويستخدم أكثر تقنيات الشعر الحديث ويعبّر بالرموز والأساطير والتراث عمّا يجول في ذهنه. ينطرق في شعره إلى ما يقع في الوطن العربي من المشاكل السياسية والاجتماعية ويبين آلام شعبه ويدعو للوعي والمقاومة والشهادة، هو كمجاهد يسعى لحرية وطنه وكرامة شعبه في ساحة القتال بشعره.

الرموز التي تدلّ للحرية

إنّ الحرية من أكثر الموضوعات التي يتحدّث عنها شعراء المقاومة وهي أساس الشعر المقاوم ولكن الكبت الموجود في البلدان المحتلة لا يعطي الشعراء رخصة بيانها بسهولة وصراحة فلذلك يستخدم الشاعر تقنية الرمز ويبين فكره بهذا الطريق، نشاهد في شعر المقاومة بأنّ الشعراء يعبرون برموز طبيعية مختلفة عن الحرية ومنها:

الشمس:

يكون للشمس مكانة رفيعة عند الناس لأنّها تنفعم كثيرا. تتعلق حياة الإنسان والحيوان بالشمس وجعل بعض الأقوام الشمس في مقام الإله. «عبادة الشمس من العبادات القديمة المتطورة إذا ما قيست بالعبادات البدائية الأخرى التي كان يؤديها الإنسان للأحجار والنباتات وغيرها من الطواطم المعروفة. فهي أول الأجرام السماوية التي كان لتأثيرها المادي على الإنسان والحيوان والنبات أثر في لفت أنظار البشر إليها. فعبدها وبنوا لها المعابد. (بلاوي ومهتدي، ٤٣٦ ق: ٢٠) كما ورد في القرآن الكريم ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ لَا تَسْجُدُوا لِلشَّمْسِ وَلَا لِلْقَمَرِ وَاسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَهُنَّ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ﴾ (فصلت، ٣٧) تستخدم الشمس كثيرا في أدب المقاومة وتدلّ على الحرية والسعادة والأمن والخير والنعم، يقول ميهوبي في قصيدة «احتراق آخر»:

«أو إذا قلنا لهذا الضوء/ هل للشمس صوت غاب في الريح/ اختفى في عتمة الليل ومات» (ميهوبي، ٢٠١٧م: ٦٢)

يرمز الشاعر بالريح والعتمة للظلم والكبت والاحتلال والصعوبة ويرمز بالشمس والضيء للحرية والكرامة وهو يشاهد في وطنه أنّ صوت الحرية قد اختفى في ضوضاء الظلم وشمس السعادة والكرامة قد اختفى في عتمة الظلم ولا فرح ولذة وجمال في الوطن، فالحرية كلّها جمال وفائدة كما الشمس جميلة ومفيدة ولازمة ولهذا السبب يجلس الشاعر بانتظاره ويحلم بمجيءها.

الصباح:

إنّ الصباح هو أول النهار، ووقت رؤية الشمس وبزوغه، ووقت ذهاب الليل والظلمة، ونشر النور الجميل في الطبيعة والحياة. «الصباح رمز الزمن الذي النور فيه صاف وخالص ووقت الابتداء ووقت ليس فيه ناجس وفضيح ومنحرف، ورمز الخلو والبيعة،

هو زمن الحياة الجنيّة وزمن الثقة للنفس والآخرين» (شواليه، ١٣٨٧ش، ج٤: ١٣٧-١٣٨) يوظّف الأدباء والشعراء الصباح كثيرا في آثارهم رمزا للمفاهيم الإيجابية والجميلة كالحرية والسعادة والعلم والوعي. يقول الشاعر ميهوبي في قصيدة «غنائية شهرزاد»: «يَضُمُّ إلى صدره موجة/ ويَقُولُ بلادي الجزائر/ وينتثر في الماء ما يشتهي من بشائر/ وعند الصباح يُعني الذي قال أباهُ الأولون:/ إنَّ الجزائرَ في أحوالها عَجَبٌ/ ولا يدومُ بها للناسِ مكروه» (ميهوبي، ٢٠١٧م: ١٣٧)

يرمز الشاعر بالبشائر والصباح للحرية والسعادة، ويشير بالأدباء الأولين بأنّ الشعب الجزائري لا يقبل الظلم منذ القديم والشاعر يعلم أنّ الحرية تجيء كالصباح ويهدم بناء الظلم والاحتلال ويخرج الوطن من الظلمات والمشاكل والآلام.

المطر:

إنّ الماء هو سبب الحياة وأصلها، ولا حيّ يقدر أن يعيش ويواصل حياته بدونها، فيحتاج كلّ مخلوق حيّ من النباتات والحيوانات والإنسان الى الماء. «هو لدى جميع شعوب العالم- فهو الأول، أصلاً لجميع الكائنات الحية، وهو الآخر ماء هائجا مانجا وطوفانا تعاقب به البشرية وفيأتي على كلّ شيء ولكنه في آن ينبيئ بتجدد الحياة على وجه الأرض ويخلق جديد. وإذن فلا عجب أن كان بما له من تلك الصفات ويكتلته التي تحتمل التشكل في جمع الأشكال رمزا من الرموز البشرية الحبلى بالدلالات» (عجينة، ١٩٩٤م، ج١: ٢٥٢) وبما أنّ المطر يغيّر الطبيعة ويجددها وكذلك يكون نزوله بالتكرار والشمول والمساواة، فاتخذ في الشعر المعاصر والشعر المقاوم خاصّة مدلول الحرية الشاملة والدائمة التي تغيّر الحياة وصولا الى الكرامة والسعادة. يدلّ المطر في شعر المقاومة على الحرية والثورة، يقول الشاعر ميهوبي في قصيدة «كان الصخر.. وكنت»: «

«مازلتُ أسألُ عن مواطنٍ للمطر/ والعشقُ يكبرُ في فَمِ الإعصار» (ميهوبي ديوان في البدء كان أوراس، ٢٠١٧م: ١١)

يريد الشاعر الحرية لوطنه وقد ملأ قلبه بحبها ويرمز بالإعصار للثورة والثائرين كما أنّ الإعصار يأتي بالمطر والثائر يأتي بالحرية لوطنه وشعبه والظالم لا يقدر أن يقاوم أمامه، فهو يريد من الثائرين أن يكونوا أقوىاء كالإعصار ويهدموا بيت الظلم ونشروا السعادة كالمطر في تربة الوطن ليعود الحبّ والأمن والحياة إليها.

اللون الأخضر:

«إنّ اللون الأخضر من الألوان المحبوبة ذات الإبهجات المبهجة كاللون الأبيض بيد أنّه استمدّ معانيه المحبوبة من ارتباطه بأشياء مبهجة في الطبيعة كالنباتات وبعض الأحجار الكريمة كالزمرّد والزبرجد ثمّ جاءت المعتقدات الدينية للتعمق من هذه الإبهجات حين استخدمت اللون الأخضر في الخصب والرزق» (المرارقة، ٢٠١٠م: ٢٦) يقول الرحمن تعالى في سورة الكهف آية ٣١: ﴿أُولَئِكَ لَهُمْ جَنَّاتٌ عَدْنٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهِمُ الْأَنْهَارُ يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِنْ ذَهَبٍ وَيَلْبَسُونَ ثِيَابًا خُضْرًا مِنْ سُنْدُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ مُتَّكِنِينَ فِيهَا عَلَى الْأَرَائِكِ نِعْمَ الثَّوَابُ وَحَسُنَتْ مُرْتَفَقًا﴾. لذلك جاء هذا اللون في الأدب رمزا للمفاهيم الإيجابية كالسعادة والحرية والتجدد، وهو «لون الأمل، القوة، طول العمر، هو لون الخلود الذي ترمز إليه كونيّا الغصون الصغيرة الخضراء» (عبيد، ٢٠١٣م: ٩٣). وكذلك قد ذهب هذا اللون بالمعاني المحبوبة والإيجابية في شعر المقاومة. يعبر الشاعر ميهوبي باللون الأخضر عن الحرية ويقول في قصيدة «التسر»: «

«يا شاعراً../ ولدت على أحلامي الخضراء/ بعضُ قصائدي.. / وسفائني سكرى.. / وأمواج.. وآية!» (ميهوبي ديوان في البدء كان

أوراس، ٢٠١٧م: ٣١)

و أيضا في قصيدة «وطني.. القدس على جفني تنمو..»: «

«و زرعُ الرّمْنِ الأخضرِ.. ثوباً أزلّياً.. قد كسا القدس التّماعا (ميهوبي ديوان في البدء كان أوراس، ٢٠١٧م: ٥٢)

يلون الشاعر الأحلام والزمان باللون الأخضر وبهذا اللون يرمز للحرية، يعني هي جميلة ومحبوبة عند الناس وبها يجيء النعم واللذة والراحة والحبّ والعلاء، فهو يحلم بحلم الحرية وينتظر زمن مجيء لها ويجتهد في هذا السبيل على وسعه.

الرموز التي تدلّ للثورة

إنّ التطرّق إلى الثورة والانتفاضة على الظلم، والايثار والشهادة في سبيل الحرّية والكرامة من أهمّ الموضوعات لشعر المقاومة، وشعراء المقاومة يدعون الشعب للثورة ودفاع عن حقوقهم، وللوصول إلى هذا المقصود يوظّفون رموزاً مختلفة، هنا نشير إلى بعضهم في شعر ميهوبي:

القمر:

نشاهد في شعر المقاومة بأن القمر من العناصر التي تسخدم في معناه غير المعجمية ويدل على المفاهيم المختلة. «القمر رمز العبور من الموت إلى الحياة ورمز العبور من الحياة إلى الموت ورمز الخصوبة، هو علامة الجمال وعلامة النور في ظلمة بلانهاية، هو ينتج المطر وتأخذ الحيوانات البحرية منه القوة» (شوايه، ١٣٨٧ش، ج٥: ١٢٣) «إنّ القمر في الأساطير والثقافة العامّة والشعر والقصص الشعبية رمزٌ لقدرة الخصوبة في الحياة» (نفسه: ١٣٢) وكذلك يستخدم القمر كالشمس في أدب المقاومة استخداماً رمزياً، فهو يدلّ على المفاهيم الإيجابية كالحرّية والعبادة كما أنّه ينوّر الدنيا في قلب الليل ويعطي الطبيعة جمالاً فهو كان عند القدماء «رمز التجدد والخصوبة والمعرفة والفحولة والتقدّس» (عجينة، ١٩٩٤م: ٢٠٠) ويقول عزّ الدين ميهوبي في قصيدة «يا حادي القدس»: «الليلُ يذبُّهُ القَمَرُ.. وأنا الوَحيد.. / تَسُوْفُنِي الأقدار/ نَحْوَ مَدِينَةِ خَضراء/ يَحْرُسُهَا الشَّجَر!» (ميهوبي ديوان في البدء كان أوراس، ٢٠١٧م: ٤٨)

فيرمز الشاعر بالليل للظلم والاحتلال وبالقمر واللون الخضراء للحرّية والثورة وهو يريد الحرية ويجتهد لها ولكن ليس له ناصر وحام ولذلك هو وحيد بين الظالمين والمحتمّين كما القمر وحيد بين ظلمات الليل، فهو بهذا الرمز يجسد فكره للمتلقي ويدعو شعبه للمقاومة والمجاهدة في سبيل حرية الوطن.

النار:

إنّ النار من الاكتشافات الهامة طول التاريخ في حياة الإنسان لأنّ للنار أثر كبير في حياة البشر وبعض الناس يقَدِّسون النار ويجعلونها في مقام المعبود، ولهذا يستخدم الشعراء النار كثيراً في شعرهم ويجعلونها رمزا لأفكارهم، و«تستعمل النار إما علامة من العلامات يقصدون بها إلى معنى مباشر متواضع عليه فتكون بمثابة أو تكون ضمن الشاعرات والطقوس رمزا مثقلا بالمعاني والدلالات» (عجينة، ج١، ١٩٩٤م: ٢٦٣) تستخدم النار كثيراً في أدب المقاومة ويدلّ على الكفاح والحرب والثورة وو كلّ ما له صلة مع النار، يعبر الشاعر ميهوبي بها عن الثورة ويقول في قصيدة «نيهون»:

«يا رَجُلًا مِنْ مَجْدٍ يَطْلُعُ/ مِنْ وَرَقِ الرِّيثُونِ/ فَجُرْ أَعْدائِكَ... / إِنَّ الشَّمْسَ تُحِبُّكَ/ فَلتَغْمِضْ عَيْنَيْكَ وَحِيداً/ قُلْ يَا نِيهونَ/ ونِم كَالطَّفْلِ عَلَى وَطَنِ مِنْ نارٍ» (ميهوبي، ٢٠١٧م: ٨١-٨٢)

نيهون هي اسم يابان في اللغة اليابانية، وتكون بمعنى أصل الشمس لأنّ يابان أوّل بلد تطلع الشمس منها، والشاعر يرمز بالشمس للحرّية فهنا المقصود من نيهون مبدأ الحرّية والجمال وطلوع النور، وهو يريد الحياة والمواصلة للحرّية ويجعل المجد والشمس والفجر والزيتون والنار كلّها رموزاً للحرّية والثورة لأجلها، ويعلم وطنه موطن الثورة والشجاعة.

الرموز التي تدل للظلم

إنّ الظلم من أسوأ الأعمال وهو سبب الفساد والفقير في المجتمع وسبب غضب الرحمان، ورد في القرآن الكريم: ﴿وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ﴾ (الشعراء، ٢٢٧) يتكلّم شعراء المقاومة كثيراً عن الظلم وأعمال الظالمين ويرمزون به لبعض العناصر والظواهر الطبيعيّة، ونشاهد في شعر المقاومة لدى ميهوبي كثيراً من هذه الرموز ومنهم:

الظلام:

إنّ الإنسان يخاف من الظلمة ولا يقدر أن يشاهد الأشياء ويواصل طريقه محايداً لا يعتني بما يشاهد من السلبيات والإيجابيات منها، ولهذا السبب تستخدم الظلمة في النصوص الأدبية والدينية بمعاني سلبية. جاءت الظلمة في القرآن بمعنى الشقاوة والكفر، نشاهد

هذا الأمر في سورة البقرة (وَالَّذِينَ كَفَرُوا أُولَئِكَ هُمُ الطَّاغُوتُ يُخْرِجُونَهُمْ مِنَ النُّورِ إِلَى الظُّلُمَاتِ أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ) (البقرة، ٢٥٧) وفي الأدب المقاوم قد استخدم بدلالات مختلفة سلبية كالظلم والفقر والاحتلال والجهل. يرمز ميهوبي بالظلم إلى الظلم والقمع ويقول في قصيدة «غنائية شهرزاد»:

«شهرزاد إسمعيني/ فَإِنَّ الظَّلَامَ الَّذِي كَانَ يَسْكُنُنِي/ حَمَلْتُهُ الرِّيحَ بَعِيداً» (ميهوبي، ٢٠١٧م: ١٣٨)

يبين الشاعر الظلم والاحتلال والحرية ويعبر بالظلم عن الظلم، وبالريح عن الثورة والانتفاضة، فجاءت الثورة كالريح القوية وهدم بناء الظلم والكبت والقمع وأخرجه من البلاد وحمله إلى البعيد بعد أن جعل الظلم الحياة صعبا وكريها.

العاصفة:

إن العاصفة والإعصار من الرياح الشديدة والقوية التي يصحبها مطر غزير أو ثلج أو برد، هما تعتبران من الكوارث الطبيعية كالسيل والبركان حيث جاءت هاتان الظاهرتان في القرآن الكريم بدلالة سلبية: (فَالْعَاصِفَاتُ عَصْفًا) (المرسلات، ٢) (أَيُّودُ أَحَدُكُمْ أَنْ تَكُونَ لَهُ جَنَّةٌ مِّنْ نَّخِيلٍ وَأَعْنَابٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ لَهُ فِيهَا مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ وَأَصَابَهُ الْكِبَرُ وَلَهُ ذُرِّيَةٌ ضُعْفَاءُ فَأَصَابَهَا إِعْصَارٌ فِيهِ نَارٌ فَاحْتَرَقَتْ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ) (البقرة، ٢٦٦) يستخدم الشعراء والأدباء المعاصرون هاتين الظاهرتين في آثارهم استخداما رمزيا وفي دلالات جديدة. تدل العاصفة والإعصار في أدب المقاومة على الغضب والاحتلال والظلم، يقول ميهوبي في قصيدة «غنائية شهرزاد»:

«لِتَحْيَا الْجَزَائِرُ/ رَعَمَ الْعَوَاصِفِ مادام فيها/ كثير من الحبِّ والانتصار» (ميهوبي، ٢٠١٧م: ١٤٩)

فعاصفة الظلم والكبت والقمع لا يقدر أن يسلب الحياة والكيان من الجزائر ومن شعبه المقاوم، وهذا البلد وهذا الشعب يعيش حتى الأبد الأتاهم يحيون الحياة ولذلك يملؤون وطنهم من الحبِّ والانتصار. الشاعر يشير بهذا الرمز بأن الظلم إن كان قويا كالعاصفة لايدوم أمام قدرة الشعب وبهذا الرمز يحيي الرجاء في قلوب مواطنيه.

و في قصيدة «لبنان» يرمز بالشمس للحرية وبالإعصار للظلم ويقول:

«فَالْفَجْرُ تَصْنَعُهُ الْمِحَنُ/ وَمِنَ الْجِرَاحِ يُبْرِعُ الزَّهْرُ النَّدَى/ وَمِنَ الْمَوَاجِعِ يَطْلُعُ النَّعَمُ الشَّجِي/ لَا تَيَأَسُنْ/ فَالشمسُ تَكْثُرُ رَعَمَ

إعصار الزَّمان» (ميهوبي، ديوان قرابين لميلاد الفجر، ٢٠١٧م: ١٠٧)

إن الفجر والزهر والنغم والشمس كلها يدل على الحرية والسعادة والكرامة التي تجيء بعد الظلم والاحتلال والشاعر يبشر شعبه ويبيدهم من اليأس. يجب للشعب العربي أن يعلم بأن الظلم والكبت والباطل تقدر أن تقتل الأطفال والنساء والمجاهدين ولكنها لا تقدر أن تعدم أمل الحرية من قلوب أبناء الشعب وفكر الحرية من خيالهم وهم يصلون إلى الحرية والسعادة وإن كان الظلم قويا الإعصار.

الريح:

يوظف الشعراء الرمزيون الريح في شعرهم الثوري كثيرا لأن خصائص الريح كالقدرة والحركة وعدم الوقفة، تسبب أن يرمز الشاعر به للثورة والقيام أمام المحتلّين والظالمين، «الريح رمز القوة والسلطان ولكنها تدل على معنيين اثنين متناقضين فهي تدل على الخصب والرزق والنصر والظفر والبشارات، إذا ساقطت السحاب متقلا بالمطر وربما دلت على الجوائح والآفات إذا كانت دبوراً» (عجينة، ١٩٩٤م: ٢٧٢) يرمز ميهوبي بالريح للظلم ويقول في قصيدة «تعيش الأرض»:

«الرَّيْحُ تَهْبُ عَلَى وَرَقِ الزَّيْتُونِ/ الرِّيحُ تَهْبُ..// وهذا اللاجيءُ مُنْتَحِفٌ بِالصَّبْرِ/ يُعَانِقُ مَوْطِنَهُ الْمَيْمُونَ» (ميهوبي، ديوان قرابين

لميلاد الفجر، ٢٠١٧م: ٨٨)

يعبر الشاعر بالزيتون عن السلام والحرية وبالريح عن الظلم والاحتلال، فالظلم يهجم على الحرية والسلام ويؤذيها كما تهجم الريح على أوراق الزيتون ويزلزلها. قد كرر الشاعر هبّ الريح وأتى به بفعل مضارع وكذلك يشير إلى مواصلة الظلم في وطنه وعدم انتهائه.

الرموز التي تدلّ للشهداء والمشرّدين

هناك في شعر المقاومة رموز طبيعية كثيرة تدلّ على الشهداء والمجاهدين والمشرّدين، الذين بذلوا أنفسهم في سبيل الوطن والحرية والكرامة والحقّ، إنّ شعراء المقاومة يمدحونهم ويكرمونهم ويتحدّثون عن درجتهم الرفيعة ويبينون ما لقوا لأجل الوطن والشعب. هنا تأتي ببعض الرموز الطبيعية التي تدلّ لهم في شعر ميهوبي:

النسر:

إنّ النسر من الطيور التي يستخدم رمزا في أدب المقاومة فهو «طائر من الجوارح ينتمي إلى فصيلة النسريات حادّ البصر له منقار معقوف مذنب ذو جوانب مزوّدة بقواطع حادّة، مخالفه قصيرة ضعيفة، جناحاه كبيران، يتغذّى بالجيف» (عمر، ٢٠٠٨م: مادة نسر) يجعله شعراء المقاومة بعض الأحيان رمزا للشهداء والمجاهدين وبعض الأحيان رمزا للعدوّ الظالم والغاصب، يقول ميهوبي:

«النَّسْرُ يَرَحُلُ فِي الْعُيُونِ وَلَا يَعُودُ/ تَتَجَمَّعُ الْمُدُنُ الْحَزِينَةُ وَالرِّيَّاحُ/ وَزَهْرَةٌ تَمَسُّ أُرْدَةَ الْخُدُودِ/ وَيَعُودُ يَعْمُضُ جَفَنَهُ..// وَيَضُمُّ تَحْتَ جَنَاحِهِ الْمَحْمُومَ/ أَلْوِيَةَ الْخُلُودِ» (ميهوبي ديوان في البدء كان أوراس، ٢٠١٧م: ٣٢)

يعبّر الشاعر بالنسر عن المجاهدين والمشرّدين، الذين يثرون على الظلم والاحتلال ويطردون من وطنهم ولكنهم يعودون بعد حرية الشعب والوطن. يصون الشاعر بهذه الرمزية نفسه من خطر السجن والاعتقال وأيضا يشير إلى قداسة المجاهدين والمشرّدين وعلوّ درجتهم وعجز الظالمين عن هزيمتهم لأنّه شبّههم بالطائر والظالمين يسير في السماء ويعلو من الأرض، فهم الأقوياء والأبرياء والأعلون.

البلبل:

«هي فصيلة من الطيور تتبع رتبة العصفوريات من طائفة الطيور وهو طائر صغير أبيض الخدين منفرد وجميل ووسيم، يضرب به المثل في طلاقة اللسان وحسن الصوت، عند تربيته في المنزل يضيف الإنشراح والبهجة والسرور ويتصف بالفطنة والذكاء وحسن المعاشرة وسهولة التربية، ويتصف بالوفاء ويألف صاحبه بدرجة كبيرة ويطير» (ويكيبيديا) يستخدم هذا الطير الجميل في الأدب كثيرا ويمدحونه الشعراء، «يُعرف البلبل في كلّ العالم بصوته الجميل، يعلم الشعراء هذا الطائر مسكن الحبّ، يعطي البلبل للروح كلّ إحساسات التي لها صلة قريبة مع الحلّ والموت» (شواليه، ١٣٨٧ش، ج٢: ١٠٤) شعراء المقاومة يعيرون بهذا الطير عن المفاهيم الإيجابية والمحبوبة كالحرية والشهداء، يرمز الشاعر ميهوبي به للشهداء والمشرّدين ويقول في قصيدة «فارس.. لحلم المدينة»:

«و في لحظة الحبّ.. تأتي البلابل..// وتَسْفُطُ أُنْعَةً الصَّمْتِ فِي لَجَّةِ الْبَحْرِ..// فِي رَقَصَاتِ السَّنَابِلِ..// وَشَمْسٌ مِنَ الْقُدْسِ تَأْتِي..// لِتَرْجُلَ فِي قَدَمَيْهَا السَّلَابِلِ» (ميهوبي ديوان في البدء كان أوراس، ٢٠١٧م: ٧٣)

يرمز الشاعر بلحظة الحبّ ورقصات السنابل ورحلة السلاسل لزمان الحرية، وبالشمس للسعادة والحرية، وكلّ هذا الرموز تدلّ للفرح والنعم والسعادة. قد هجر الناس من الوطن في زمن الكبت والهدم والظلم ولكنهم يعودون عندما يأتي الفرح والنعم والحرية.

الرموز الذي تدلّ للشعب العربي:

يتكلّم شعراء المقاومة عن الهوية والثقافة العربية ويدافعون عن حقوقهم أمام العدو الغاصب الذي يريد أن يعدم الهوية العربية وينشر لغته وثقافته في البلاد المحتلة، هذا الشعراء يبيّنون أهداف العدو السوء ويدعون الشعب للوعي والمقاومة وهم يستخدمون بعض رموز للوصول إلى هذا المراد.

اللون الأسمر:

إنّ اللون الأسمر من أقلّ الألوان استخدام في الطبيعة والتراث الشعبي نسبة إلى الألوان الأخرى اللون الأحمر والأخضر والأسود وغيرها. «هو لون بين لوني الأحمر والأسود ومائل للأسود أكثرًا. هذا اللون رمز للموت والميت والحزن. وكذلك رمز قد استعملت بمعنى التراب والوطن» (سمتي وطهماسبي، ١٣٩٠ش: ١٩) يدلّ هذا اللون في شعر المقاومة لدى الشعراء العربيين للهوية والشعب والوطن. ونعلم بأنّ لون جلد الشعب العربي يكون أسمرًا، فيقول ميهوبي في قصيدة «رحيل القمر الحزين»:

« لا تَحْزَنَ .. / فَخَلَفَ اللَّيْلَ أَضْوَاءَ .. / وَخَلَفَ الْغَيْمَ أَنْوَاءَ .. / وَخَلَفَ الصَّمْتَ أَشْيَاءَ .. / وَخَلَفَ الْحُزْنَ .. / أَفْرَاحُ الْعُيُونِ السَّمْرِ .. »

(ميهوبي ديوان في البدء كان أوراس، ٢٠١٧م: ٣٨)

هنا يدعو الشاعر مواظنيه خاصة المجاهدين للرجاء والأمل والابتعاد عن اليأس، فيرمز بالليل والغيم والصمت والحزن للكبت والظلم والاحتلال والصعوبة ويرمز بالأضواء والأنواء والأشياء والأفراح بالحرية، والمفهوم من العيون السمر هو عيون الشعب العربي.

الرموز الذي تدل للوطن

عندما يتكلم الشاعر عن وطنه لا يعبر عنه صريحا بل يستخدم بعض الرموز وينقل فكره بها للمتلقى، ويستخدمون العناصر الطبيعية التي يعرف الوطن العربي بها كالنخل والزيتون لأنهما ينبطان أكثر في البلدان العربية.

النخل:

للشجرة أثر كبير في حياة الإنسان والحيوان، وله فوائد كثيرة كالجمال وتطهير الجو وانتاج الثمار وأيضا يستفيد الإنسان من ظلها في الصيف ويستفيد من خشبها وقودا في الشتاء وأيضا يُستخدم في الصناعات اليدوية. تُستخدم الشجرة رمزا في الأدب والثقافة، «إنَّ الشجرة تكون رمزا لصورة حيّة في الوجود، فهي كالإنسان عالم صغير تجتمع فيه العناصر الأربعة من تربة وماء وهواء وبواسطتها يقتحون النار، كما أنّها بخضرتها الزاهية الدائمة رمز الحياة والتجدد والخلود ولذلك كان من أسماء الجنة الفردوس» (عجينة، ١٩٩٤م: ٢٨٠). وكذلك النخل وهو قد ورد كثيرا للأدب والدين رمزا، «أوراق النخل وغصونه هي رمز الفتح والعروج والبعث والخلود، تكون أوراق النخل في المسيحية رمز الشهداء المسيحيين» (شواليه، ١٣٨٧ش، ج٥: ٤٠١-٤٠٢) يدلّ النخل في أدب المقاومة على الوطن والشعب والهوية لأنه يكون أكثر في البلاد العربية. الشاعر ميهوبي يعبر به عن وطنه وشعبه ويقول في قصيدة «امتداد اول»:

«أمتدّ في العمر الجديد.. وفي فمي.. نخل.. يُعَانِقُ/ رِحْلَتِي.. وصلاتي» (ميهوبي ديوان في البدء كان أوراس، ٢٠١٧م: ٤١)

يرمز الشاعر بالنخل للوطن والشعب فيكون الوطن والشعب دائما في ذهنه وفكره وهو لا يفكر إلا بالأمهما ويسعى أن يأتي بالحرية والكرامة إلى بلده الذي يكون تحت الظلم والاحتلال.

الرمز الذي يدل للشقاوة

إنّ الوطن والشعب يعيش تحت الظلم والكبت والفقر والشقاوة، فشعراء المقاومة يعبرون ببعض الرموز عن هذه الشقاوة لأنّ الكبت السياسي لايسمح لهم أن يتكلموا عنها صريحا. هنا نأتي بالعناصر الطبيعية التي تدلّ للشقاوة والفقر والمصيبة في شعر ميهوبي المقاوم.

اللون الأسود:

«تستخدم اللغات ألفاظ الألوان استخدامات مجازية قد يشيع بعضها ويجري مجرى الأمثال، كما أنّها عن طريق المعاني الرمزية والإيحائية للألوان تستخدم ألفاظها في تعبيرات لغوية idioms لا يفهم معناها بمجرد فهم مفرداتها إذ تصبح تركيبا موحدا ذا معنى خاص». (عمر، ١٩٩٧م: ٦٩) إن اللون الأسود من أكثر الألوان استخداما رمزيا في شعر المقاومة، فشعراء المقاومة يرمزون بهذا اللون للظلم والكبت والشقاوة والاحتلال، «يشير الأسود فيزيائيا إلى فقدان اللون، لكنّه في منظور كثير من الثقافات دالّ على ما يستكره ويتشام به، لهذا عبر الشعراء بهذا اللون من المعاناة وكلّ ما هو سلبيّ كالآلام والعذاب» (محمد حمدان، ٢٠٠٨م: ١٠٠) هذا اللون قد جاء في القرآن الكريم لدلالة على معنى سلبي: «يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ فَأَمَّا الَّذِينَ اسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ أَكْفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ» (سورة آل عمران: ١٠٦) نشاهد اللون الأسود بهذه الدلالات في المجتمع وفي اعتقادات الناس، «فقد اعتاد الناس لبس السواد عند الحزن فربطوا السواد بالموت وشاع بينهم الخوف من الظلام وما يحمله من مجهول فربطوا الخوف من المجهول بالسواد، كما أن اللون الأسود لم يربط في الطبيعة بأيّ شيء ذي بهجة». (عمر، ١٩٩٧م: ٢٠١) فالشاعر ميهوبي يرمز باللون الأسود للشقاوة والخذلان ويقول في قصيدة «كساد»:

«يا أيّها الشعراء.. معزّة.. / فَإِنَّ الحَلْمَ يُخْذَلْنَا.. / وَيُلْبِسُنَا السَّوَادَ» (ميهوبي ديوان في البدء كان أوراس، ٢٠١٧م: ٤٣)

إن الشاعر يدعو الشعراء إلى الواقعية والالتزام ويعتقد بأنه يجب عليهم أن يتطرقوا للوطن وآلامه والحق والباطل، ويتعدوا من الحلم والرؤيا لأنهم لا يصلون إلى الحرية والكرامة بهذا الطريق، ف للشاعر أن يدافع عن شعبه ووطنه بقلمه وفكره ويخرج من البرج العاجي ويحضر في ساحة القتال والكفاح.

البومة:

إنّ البومة من أكثر الطيور استخداماً رمزياً في الأدب، يُعرف هذا الطائر بالمفاهيم السلبية و«هو رمز الموت والنحوسة والقوآت الشرّ» (شواليه، ١٣٨٧ش، ج٢: ٤٣٦) نشاهد في شعر المقاومة لدى ميهوبي بأنّ هذا الطائر يدلّ على الشقاوة والحزن والألم والموت، هو يقول في قصيدة «كاليغولا»:

«عَلَى فَرَسٍ مِنْ خَرَابٍ/ يَجِيءُ.../ عَلَى رَأْسِهِ بَوْمَةٌ/ وَعَلَى جَفْنِهِ خَنْجَرٌ وَعُرَابٌ/ لَمْ يَكُنْ مِثْلَنَا.../ عَاشِقًا لِلْوُرُودِ/ فَاضِحًا لِلصَّبَاحِ
الَّذِي لَا يَعُودُ/ بَمَ يَدْبُ فَرَحَةً فِي الْعُيُونِ النَّيِّ التَّحَفَتِ حُزْنُهَا/ كَانَ شَيْئاً مِنَ الْمَوْتِ» (ميهوبي، ديوان كاليغولا يرسم غرنیکا الرئيس، ٢٠١٧م: ٣٠)

يرمز الشاعر بكاليغولا للظالمين والمحتلّين وكاليغولا «إمبراطور روماني وهو أشهر طاغية في التاريخ الإنساني المعروف بوحشيته وجنونه وساديته وله صلة قرابة من ناحية الام للإمبراطور الأشهر نيرون الذي احرق روما، هو تولى حكم روما منذ العام ٣٧ إلى ٤١ ميلادياً» (ويكيبيديا)، ويرمز الخنجر للقتل وبالغراب والبومة للهدم والنحوسة وبالورد والصبح للحرية والسعادة، فالظالمون والمحتلون يأتون بالوحشة والحزن والألم والشقاوة والدمار والهدم إلى الوطن ويكافحون على الحرية والسعادة

الرمز الذي يدل للثورة والشهادة

إنّ الثورة على الظلم والاحتلال والشهادة في سبيل الوطن من المضامين الأساسية لشعر المقاومة، فالشاعر يراها ضروريًا لوطنه عندما يُدخل في مقلب الظلم ولذلك يدعو شعبه للثورة والشهادة والانتفاضة ويستخدم بعض عناصر طبيعية رمزا لهذا المفهوم ومنها في شعر ميهوبي:

الدم:

عندما نتكلّم عن الدم يخطر ببالنا القتال والكفاح والقيام والحرب والشهادة، قد ورد الدم رمزا لأدب المقاومة ويرمز الشعراء به للثورة والانتفاضة والشهادة لأجل كسب الحرية والسعادة، يدلّ الدم على معان غير معجميّة كثيرة «فترتبط بالحياة والنار والحرارة وو كلّ القيم الشريفة والكريمة والجميلة والرفيعة، هو محمل الحياة وعند ذبح الحيوان يسبب للخصوبة والوفور والسعادة» (شواليه، ١٣٨٧ش، ج٣: ١٣٥) يعبر ميهوبي بالدم عن الثورة والشهادة ويقول في قصيدة «الحن»:

«فَإِنَّ لِلْغُرَبَاءِ أَيُّهُمْ/ وَلِلشُّهَدَاءِ أُرْمِنَةٌ/ عَلَى مَدِّ النَّتْشِيدِ/ تَأْتِي الدَّمَاءُ.../ وَمِنْ عُيُونِ الْأَرْضِ/ يَبْنَعُ أَلْفَ عِيدٍ» (ميهوبي ديوان في البدء كان أوراس، ٢٠١٧م: ٤٤)

يرمز الشاعر بالعيد للحرية والسعادة والكرامة، فالحرية عين ماء ولكن مائه هو دماء الشهداء، والغرباء هم المحتلون والغاصبون الذين يقاوم الشهداء أمامهم ويأتون بالكرامة والحرية بالشهادة ولا يقبلون الذلّة.

الرموز الذي تدل للضعف والجوع

إنّ الظلم والاحتلال يسببان للفقر والجوع وضعف الأبدان في البلاد المحتلّة، فشعراء المقاومة يبيّنون هذه المشكلة والصعوبة في شعرهم ونشاهد بأنّ الرموز الطبيعية بصورتها أحسن تصويرا وهنا نشير إلى واحدا منها في شعر ميهوبي:

اللون الأصفر:

إنّ اللون الأصفر من أكثر اللوان استخداماً في الطبيعة ومن أشهرها عند الناس، يدلّ هذا اللون للمفاهيم المختلفة «كالذبول والنحول والخوف وضعف الجسم والهّم والهيام والكراهية والنفور» (عمر، ١٩٩٧م: ٢١٥-٢١٦) يعبر شعراء المقاومة بهذا اللون عن ضعف الأطفال والنساء وكلّ الشعب، والجوع والخوف التي نشرها الغاصبون في البلاد المحتلّة. يقول ميهوبي

في قصيدة «وطني.. القدس على جفني تنمو..»:

فَعَلَى صَدْرِي.. أطفالُ حَيَارَى وَشِفَاهِي الصُّفْرُ.. تَجَنَّرَ الجِيعَا. (ميهوبي ديوان في البدء كان أوراس، ٢٠١٧م: ٥١)

يتكلم الشاعر في هذه القصيدة عن القدس وما يجري فيها من القتل والسجن والأذى والصعوبة والجوع، ويرمز باللون الأصفر لمصائب الشعب الفلسطيني ويعبر بهذا اللون عن الآمهم ومشاكلهم، فهو يقوم جنب المظلومين ويصور الآمهم للندبا، يشير باللون الأصفر بأن الشعب الفلسطيني المظلوم يعيش في الفقر والجوع والضعف وهو محروم من النعم والأمن.

الرمز الذي يدلّ للحقّ

إنّ الحقّ والدفاع عنه يكون من مضامين الشعر المقاوم وشعراء المقاومة ينظرون به ويعبرون عنه برموز مختلفة لأنّ الكبت السياسي لا يرخص لهم أن يتكلموا عنه صريحا.

اللون الأبيض:

«إنّ اللون الأبيض قد استخدم في التراث الشعبي رمزا للطهر والبراءة والتفائل والرضا والمهادنة والمسالمة» (عمر، ١٩٩٧م: ٢٠٥) وقد جاء في القرآن الكريم رمزا للرحمة والسعادة ويقول: ﴿وَ أَمَّا الَّذِينَ أَبْيَضَتْ وُجُوهُهُمْ فَبِئْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ﴾ (آل عمران، ١٠٧) يرمز الشاعر ميهوبي بهذا اللون للحقّ والخير ويقول في قصيدة «الطريق»:

«-يافا- عَلَى مَدِّ الْأُفُقِ/ أَحْلَامُكَ الْبَيْضَاءُ تَبْلُغُهَا.. / وَفِرْصُ الشَّمْسِ تُدْرِكُهُ.. / وَإِنْ طَالَ النَّفَقُ» (ميهوبي ديوان في البدء كان أوراس، ٢٠١٧م: ٥٩)

قد وقعت المدينة يافا في مخالب المظالمين ويتمني الحرية ويحلم بحبها وهذا الحلم والإرادة حقّ وظاهر وجميل، الشاعر يرمز بالشمس للحرية ويعتقد بأن يافا تريد النور والبيضاء والجمال وينفر من ظلمة الاحتلال والقمع.

الرموز التي تدلّ للغاصبين

إنّ الغصب والاحتلال من المضامين الشعرية لدى شعراء المقاومة وهم يتحدثون في أشعارهم كثيرا عن العدو الغاصب ويصورون أعماله وبهذا الطريق يجعلون فنهم سلاحا لدفاع عن الوطن. الشعراء يرمزون للغاصبين بعناصر مختلفة وينقلون فكرهم للمتلقّي، وهنا تأتي ببعض هذه الرموز في شعر ميهوبي:

الغراب:

يعرّف الغراب بالنحوسة والشوم ويوظّف في الأدب بهذا المفهوم، «في التعبير النفسي رؤية الغراب في النوم، علامة النحوسة والشقاء والخوف» (شواليه، ١٣٨٧ش، ج٤: ٥٨١) هذا الطائر في الثقافة العربية أخذ المعاني السلبية ويقال في المثل «أخدع من الغراب، أشأم من الغراب، أزهى من الغراب» (عجينة، ١٩٩٤م، ج١: ٣٢٤) نحن نرى حضور الغراب بهذا المفهوم في الأدب المقاوم ويوظّفه شعراء المقاومة رمزا للعدوّ الغاصب والمحتلّين لأنهم سبب الشقاوة والخوف. يقول ميهوبي في قصيدة «قنطرة»:

«غريان/ عَجَبًا يَا بَلَدِي.. / كُلُّ مَا فِيكَ عُجَابٌ/ جِيفَةٌ وَاحِدَةٌ تَجْمَعُ مِليونَ غُرَابٍ» (ميهوبي، ديوان ملصقات، ٢٠١٧م: ٥٧)

يرمز الشاعر بالغراب للغاصبين ويرمز بالجيفة لوطنه الجزائر، فالغاصبون قد هجموا على الجزائر ونهبوا منابعها كما يهجم الغريان على المزارع ويأكلون المحاصيل، وهؤلاء الغاصبون يسببون الشقاوة والخوف والفقر والقتل في الوطن ووجودهم نحس ولا يأتي منهم خير.

الذئب:

إن للذئب في آداب الأمم وثقافتها مكانة خاصة وهو مشهور بالعدو والظلم والحرص والخيانة. ويقال إنّه يكون جائعا دائما ولا يشبع أبدا ولهذا هو حريص ولا يقنع بأيّ شيء. «مما هو مثير حقاً أن تلصق الذئب كلّ صفات الشرّ من غدر وخيانة، وأن تتفق المجتمعات البشرية على هذه الصفات». (العَمّاري، ٢٠١٢م: ١٠٤) جاء في الأمثال العربية: «أخون من الذئب» (العسكري، ١٩٨٨م،

ج:١: (٣٣٣)، وكذلك «أظلم من الذئب» (نفسه، ج:٢: ٢٧) يستخدم هذا الحيوان الوحشي رمزا في أدب المقاومة ويدل للظالمين والمحتلين، يقول ميهوبي في قصيدة «غوايات أريك في رام الله»: «مازلتُ أجنُّ إلى بيروت.../ أنا المَجنون/ السَلْمُ خُرافه/ والذئبُ يموت..// إذا افترَسَ الغِربانُ خرافه». (يهوبي، ديوان قرابين

لميلاد الفجر، ٢٠١٧م: ١٦)

يرمز الشاعر بالذئب للصهاينة الذين يرتكبون بالأعمال الوحشية في بيروت ورام الله ولا يرحمون على الضعفاء والصغار والنساء والأطفال ولكن يجب للشعب العربي أن يعلموا بأن هذا الذئب يموت ويفنى ويظفر الحق ويزهق الباطل.

النتائج

- ١- نشاهد في شعر المقاومة لدى عزالدين ميهوبي رموزا طبيعية ذات دلالات غير معجمية كثيرة.
- ٢- يستخدم ميهوبي كالشعراء العرب المعاصرين الآخرين هذه الرموز في شعر المقاومة بأسباب مختلفة كالخوف من السجن والاعتقال والأذى من قبل الحكام الظالمين والغاصبين، وبسبب تعميق المعنى والإحساس والمشاركة المتلقي فيهما، وأيضا لتجسيد المعاني والأحاسيس.
- ٣- يتطرق الشاعر بهذه الرموز إلى المقاومة ومسائلها الهامة يعني الإحتلال والظلم والثورة والشهادة والحرية والحق والباطل والهوية والوطن.
- ٤- في هذه الأشعار تدل العناصر المخيفة والسلبية للمفاهيم والموضوعات المخيفة والسلبية، والعناصر الجميلة والمحبوبة والايجابية للفاهيم والموضوعات المحبوبة والايجابية.
- ٥- ميهوبي يوظف أكثر عناصر الطبيعة كالحيوانات والنباتات والبر والبحر والليل والنهار وغيرها. تحمل هذه الرموز دلالات معينة وفقا لميزاتهم.
- ٦- يرمز ميهوبي بالذئب والغراب للغضب والإحتلال والغاصبين، وبالظلام والريح والعاصفة للظلم والظالمين، و يرمز بالمطر والصبح والشمس، وباللون الأخضر للحرية.
- ٧- يفهم هذه الدلالات في السياق الشعري ونرى بأن هذه الرموز قد استطاعت أن يعطي شعر ميهوبي جمالا وعمقا واثرا، وأغنته حيوية وإحساسا.
- ٨- يصون الشاعر بهذه الرموز نفسه من خطر الإختناق ويأثر في المتلقي ويجعل فكره وشعوره في قضية الوطن، ملموسا ومحسوسا أمام عيون المتلقي.
- ٩- بالإضافة إلى اللون الأخضر قد استخدم الشاعر بعض الألوان الأخرى رمزا في شعره، فاللون الأبيض يدل على الحق واللون الأسمر يدل على الوطن والهوية العربية واللون الأصفر يدل على الفقر والضعف.

المآخذ والمصادر

القرآن الكريم.

بلاوي، رسول ومهندي، حسين (٤٣٦ ش). «الرموز الطبيعية ودلالاتها في شعر يحيى السماوي»، مجلة اللغة العربية وآدابها، العدد ٢، السنة ١١.

بن مزغنة، حفيظة (٢٠٠٥م). «الصورة الفنية في شعر عزالدين ميهوبي»، رسالة الماجستير، جامعة محمد خيضر بسكرة.

سمتي، محمد مهدي وطهماسبي نهگداری، نرجس (١٣٩٠ ش). «رنگهای نمادین در اشعار صلاح عبدالصبور»، مجلة الجمعية العلمية الايرانية للغة العربية وآدابها: ٧٠.

شوالیه، ژان وگريران، آلن (١٣٨٧ ش). «معجم الرموز»، طهران، نشر جيحون.

عبید، كلود (٢٠١٣ م). «الألوان»، بيروت: المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع.

- عجينة، محمد (١٩٩٤م). «موسوعة أساطير العرب عن الجاهلية ودلالاتها»، ج ١ و ٢، بيروت: دار الفارابي عمر، احمد مختار (١٩٩٧م). «اللغة واللون»، ط ٢، القاهرة: عالم الكتب.
- العَمّاري، فضل بن عمّار (٢٠١٢م). «الذنب في الأدب العربي»، الرياض: جامعة الملك سعود، النشر العلمي والمطابع.
- العسكري، أبو هلال (١٩٨٨م). «جمهرة الأمثال»، ج ١ و ٢، بيروت: دار الكتب العلمية.
- المرازقة، نجاح عبدالرحمن (٢٠١٠م). «اللون ودلالاته في القرآن الكريم»، رسالة الماجستير، اردن: جامعة مؤتة.
- ميهوبي، عزّالدين (٢٠١٧م). «ديوان في البدء كان أوراس»
- ميهوبي، عزّالدين (٢٠١٧م). «قرايين لميلاد الفجر»
- ميهوبي، عزّالدين (٢٠١٧م). «ديوان ملصقات».
- نشاوى، نسيب (١٩٨٤م). «مدخل إلى دراسة المدارس الأدبية في الشعر العربي المعاصر»، الجزائر، ديوان المطبوعات الجامعية.